

محمود عوض

جيل سيئ السمعة !

obeikandi.com



obeikandi.com



كان الرومان يقولون منذ ٢٣٠٠ سنة : من حق كل إنسان أن يجنّ مرة !
وإذا مارست بدورى هذا الحق الآن فإنه يجب أن أقول عن الجيل الذى
أنتمى إليه . إنه جيل سيئ السمعة . كنا كذلك قبل حرب أكتوبر . . ويجب أن
نظل كذلك بعدها .

لقد وضعنا فى صلبنا المبكر شعارات كثيرة ، وقرأنا إشارات مرور كثيرة ،
تحدد لنا مقدماً الطريق الذى يجب أن نسلكه من أجل أن نصبح فى النهاية مواطنين
صالحين فى هذا البلد ، وهذه الأمة . إنهم حددوا لنا مقدماً نوع « الطبخة » التى
يجب أن تتكون منها عواطفنا ، ومقامس القلب الذى يجب أن نضبط عليه تصرفاتنا ،
وطبيعة المواصفات التى يجب أن تكون عليها أفعالنا لكي نحصل من المجتمع بعد
ذلك على شهادة بحسن السير والسلوك . مواصفات تقول لنا إن المواطن الصالح
هو الشخص الذى لا يتفد أبداً ، وإنما يوافق دائماً . . لا يبادر أبداً ، وإنما يتبع
دائماً . . لا يسأل أبداً ، وإنما يطيع دائماً . . لا يجازف أبداً ، بل يحتاط دائماً . .
لا يتفوق أبداً ، بل يتوسط دائماً . . لا يتطرف أبداً ، بل يعتدل دائماً . . لا يغامر
أبداً ، ولكنه يبحث عن راحة البال دائماً .

إن صبانا المبكر ، في هذا الجليل ، هو تسجيل حى لهذه المواصفات التى كنا نتفلسفها فى كل ثانية مع كل نسمة فى الهواء ، وكل كلمة فى الصحف ، وكل تعليق فى الإذاعة ، وكل صورة فى التلفزيون .

كانت مشكلتنا هى الحرية . حرية أن نقول « لا » ، وحرية أن نرفض مبدئياً التنازل عن هذه الحرية مقابل أى « علف » يقدمه المجتمع لنا . إن المجتمع ظل يعلمنا سنوات طويلة أن الخبز أهم من الحرية . والطاعة أهم من التمرد . والتصفيق أهم من التفكير . وحينما تمرد جيلنا كله على هذه الشعارات ، بعد هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ ، بدأ الأكبر سناً منا - الأكبر سناً وسلطة - ينظر من قمة الهرم إلينا نحن الواقفين فى السفح . إنه ينظر إلينا ، ويمحص شفثيه مشمئزاً ومعتزلاً ومندهبشاً فى النهاية . هؤلاء الشباب مشاغبون . ما الذى يريدونه من هذا البلد ؟ ألم نضمن لهم التعليم المجانى ؟ ألم نضمن لهم وظائف فى الحكومة كل سنة ؟ ألم نشتر لهم مائة أوتوبيس فى العام الماضى ؟ ألم نقرر لهم عشرين جنيهاً يصرفونها كل شهرين غير أن يستحقوها ؟

نعم ، كل هذا حدث . وأكثر .
ولكن المشكلة كانت دائماً هى أننا تفكر فى أشياء لم تكن مهمة عندهم بالأمر !

لم يكن السؤال هو : هل يصمد بلدنا أولاً ؟ طبعاً سوف يصمد . ولم يكن السؤال هو : هل تاريخنا مستمر فى التراكم أولاً ؟ طبعاً مستمر . ولم يكن السؤال يتعلق بما إذا كان بلدنا يعيش أم لا . إنه يعيش .

ولكن السؤال كان هو : كيف يعيش بلدنا ؟ هل يعيش باعتباره جزءاً من القرن العشرين ، أو باعتباره عقبة فى طريقه ؟ قبل أن نفكر فى أين وماذا ومتى ولماذا . . . يجب أن نفكر ، ونطيل التفكير فى : كيف ؟ إن كل إنسان يستطيع أن يكون غنياً . . . بالتهريب أو بالسرقة أو بالنصب أو بالاحتيال ، أو بالكفابة . إن ثروته لا معنى لها قبل أن نعرف أولاً : كيف حققها ؟ من هنا فقط نستطيع أن نرى ثروته باعتبارها قيمة مضافة إليه أو مخصومة منه .

ولقد حدث مرة أن كتبت في جريدة « أخبار اليوم » سلسلة بعنوان « محاولة لفهم الجيل الجديد » . . ونشرت الحلقة الأولى منها في عدد ٢٤ فبراير سنة ١٩٦٨ . وفي تلك السلسلة كتبت أقول :

« لقد تراكمت عدة اتهامات ينسبها الجيل القديم إلى الجيل الجديد ، كان من نتيجتها أن أصبح الجيل الجديد جيلا سيئ السمعة ! هل أقول الحق ؟ إن معظم الاتهامات الموجهة إلى الجيل الجديد - وأنا منه على أى حال - هي اتهامات صحيحة ! وربما يحتاج الجهر بهذه الحقيقة إلى أن يجنّ الإنسان مرة . . كما كان يحق للرومان القدماء . ولكن الأمل يبقى هو العزاء الوحيد . الأمل في أن إنساناً ما . . شخصاً ما . . سوف يعود إلى هذه الحقيقة بعد سنوات قادمة ويقول : فعلا . . كان هذا الرجل عاقلاً منذ عشرين سنة ! »

إن الرقيب الحكومى على الجريدة بدأ يقرأ البروفات قبل النشر ، بأصبع على شفتيه ، متردداً من البداية فى الموافقة أو الاعتراض على نشر السلسلة . إنها صحافة مصر قبل العبور

ثم استمر الرقيب يواصل قراءة ما كتبت فى الحلقة الأولى . . إلى أن وصل إلى فقرة قرأها بصوت مرتفع ، كما لو أنه اكتشف قبلة زمنية تحت كرسية . فى الفقرة كنت أقول : « إن الحكومة تريدنا - نحن الجيل الجديد - أن نصبح كالمساكن الشعبية التى تبنينا : متشابهين فى كل شيء ، منظمين فى كل شيء ، متوسطين فى الارتفاع ، متساوين فى الحجم . هذه هى الصورة المؤلة . . إن كل ما تريده لنا الحكومة هو أن نسجل حياتنا يوماً بعد يوم . سنة بعد سنة ، صمتاً بعد صمت . يوماً بعد يوم ، تكراراً بعد تكرار . إن المجتمع قد يتصور أننا أصبحنا كذلك فعلا بحكم الرغبة ، ولكن هذا هو الخطأ الفادح . إن كل الاتهامات ضدنا صحيحة . . ولكن . . لا تجعلونا كبش فداء لخطايا المجتمع . . هو الذى ولدنا . هو الذى أنشأنا . هو الذى يجب أن يقف فى قفص الاتهام » .

هنا بدأ تملل الرقيب يصبح اعتراضاً ، والاعتراض يصبح تأشيرة حمراء . لقد اعترض على الفقرة كلها . وبعد مناقشة اعترض على نصفها . وبعد مناقشتين

اعترض على سطر واحد فيها .

لم يكن هذا هو المهم . ولكن المهم هو أنه في اليوم التالي شاءت الظروف أن تقع مظاهرات الطلبة الشهيرة في فبراير سنة ١٩٦٨ . كانت المناسبة الظاهرة للمظاهرات هي الأحكام التي صدرت ضد قادة سلاح الطيران بسبب هزيمة يونيو . ولكن التطورات سرعان ما كشفت بعد ذلك عن الأسباب الأخرى ، الأعمق ، لتلك المظاهرات . أسباب تتعلق بأسلوب كامل في التربية ، والتعامل ، والحكم . . . كان الشباب هم أكثر ضحاياهم ، وهم الآن أكثر المتمردين عليه . إنهم متمردون ضد السلطة والمجتمع كله ، الذي أصبح الآن في قفص الاتهام .

وفجأة أصبح الجو السياسي كله مشحوناً بالكهرباء . . . وأصبحت تلك الكهرباء واضحة في التشدد المفاجئ من الرقابة على الصحف . إن الرقيب الذي كان يتناقش معي في الأسبوع الماضي ، أصبح معترضاً على أي مناقشة في هذا الأسبوع . وبدلاً من أن يشطب سطرين أوفقرتين ، شطب في هذه المرة الحلقة الثانية بأكملها . إنها حلقة كنت أناقش فيها أسباب الفجوة بين الشباب والمجتمع . . . ولكن الرقيب كان يراها باعتارها « مذكرة تفسيرية » لما جرى من مظاهرات . . .

- هل تراني أحرص على مزيد من المظاهرات ؟

- لا .

- ألم توجد هذه الحلقات لديك من قبل المظاهرات ؟

- نعم .

- إذن ، لماذا تعترض على حلقة بأكملها ؟

- لأن الجو الآن مشحون بالكهرباء .

- ولكن ، لماذا هو أصلاً مشحون بالكهرباء ؟

- لأن الشباب يتظاهرون في الشوارع .

- ولكن ، لماذا يتظاهر الشباب ؟

- لا أعرف .

- إذن ، ماذا تعرف ؟

– أعرف فقط أن لدى تعليمات ، ويجب أن أنفذها . . مفهوم ؟

طبعاً مفهوم . إن المفهوم هو أن إخفاء ما يجري أحسن علاج له . ليس المطلوب هو تشخيص المرض ، أو علاجه ، ولكن المطلوب هو التظاهر بعدم وجوده . . وهذا هو أساس المشكلة بيننا وبين المجتمع كله . إن أحداً لا يريد أن يعرف ، أو يتظاهر بأنه لا يعرف . إن لهم عيوناً ولكنهم لا يرون . . وإن لهم أذاناً ولكنهم لا يسمعون .

لقد كانت تنطبق على جيلنا تماماً كلمات الزنجي الأمريكي في الرواية التي كتبها « رالف إليسون » سنة ١٩٥٣ . كلمات قالها وهو يصرخ : « أنا رجل خفي . . إن الناس يرفضون أن يشاهدوني . . إنني متألم من حاجتك إلى إقناع نفسك بأنني موجود في الدنيا الحقيقية ، وأنتى جزء من كل الضجة والقلق . إننى ألعن ، وأشتم ، وأقسم أن أجعلهم يعترفون بى . . إنك معترض على تصرفى هذا ، وتعتبره تصرف إنسان غير مسئول . إن الحق معك . . ولكن ، لمن أستطيع أن أكون مسئولاً ، ولماذا يجب أن أكون مسئولاً ، وأنت ترفض رؤيتى ؟ » .

نعم ، كان المجتمع يرفض رؤية جيل بأكمله . يرفض مناقشته أو الاعتراف به أو حتى مجرد الاستماع إليه .

وتلك كانت مشكلة السنوات العشرين الأخيرة . إنها مشكلة من عشرين مشكلة خلقها الخلل السياسى الذى تسمم به المجتمع المصرى قبل هزيمة يونيو ١٩٦٧ بسنوات طويلة . خلل اصطلاحنا على تسميته مؤخراً بـ « مراكز القوى » .

لقد كنا نحن ، الجيل الشاب في هذه الأمة ، وقود هذه الثورة . . بدل أن نكون جنودها . إن جيلنا ولد لكى يفتح عينيه على شعارات مثل « ارفع رأسك يا أخى . . فقد مضى عهد الاستعباد » . . فالثورة تلقفتنا وعمرنا أقل من العاشرة . إن أناساً هذه مواصفاتهم لا يمكن اتهامهم بأنهم يدافعون عن جذورهم قبل الثورة . لم يكن لنا جذور . ولا يمكن اتهامهم بالتآمر . لم يكن بيننا متآمر . لم يكن خلفنا هدف نسعى إليه . . والهدف الوحيد المتاح لنا هو التقدم إلى الأمام . التقدم ببلدنا ، وبأنفسنا .

لقد تلقفتنا الثورة ونحن جيل ملئ بالتحدى الطازج للحياة . جيل مشحون

بالمرح والصحة واللهفة والشوق والأمل والحيوية . لم تكن في صوتنا برة بأس ، ولا في تفكيرنا آثار هزيمة . ولا في شخصياتنا علامة حزن ، ولا في حياتنا معركة خاسرة . إن المعارك الخاسرة بدأها وخاضها غيرنا . وبالرغم من أننا في النهاية دفعنا جزءاً من الثمن . . فإننا لم نتورط مطلقاً في واحدة منها .

ثم . . بدأنا نشم رائحة الفساد . بدأنا نشم الرائحة . بغير أن ندرك بالضبط أين مصدرها ؟ . . ولماذا السكوت على أسبابها ؟ في تلك الأيام كان التمرد شيئاً مفهوماً . . ولكن عقوبة إعلانه كانت قاسية . إن العقوبة هي أن يتم تصنيفك في خانة المعادين للثورة . نعم ، ففي تلك الأيام كان كل شيء - صواباً أو خطأ - يتم الحديث عنه باعتباره إنجازاً من إنجازات الثورة .

إن كلمة « ثورة » عريضة في مداها . . فهي تمتد من أقصى المثالية ، إلى منتهى الوحشية . . ومن العظمة إلى القسوة . ومن الروحية إلى القوة . إنها كلمة تغير ألوانها لأنها تستمد أصباغها من الناس والظروف . وفي الثورة المصرية ، كما في كل ثورة أخرى ، تستطيع أن ترى بوضوح نوعين من الثوريين عملاً تحت لوائها منذ سنة ١٩٥٢ : هؤلاء الذين أصبحوا ثوريين بدافع من المثالية ، وأولئك الذين أصبحوا ثوريين بدافع من الحقد . إن الأولين - كأشخاص من أفضل من الجماهير - يريدون رفع هذه الجماهير إلى مستواهم ، بالتجربة ، والتعليم ، والتحرر . أما الآخرون فقد كانوا في حالة تعيسة من البداية . . لأنهم يريدون أن ينتقموا من هؤلاء الذين كانوا أسعد منهم ، وبارتفاعهم إلى السلطة يريدون الانتقام من هؤلاء الذين سقطوا من السلطة ، إنهم في النهاية يمثلون نمواً متقيحاً على الوجه الطاهر للثورة .

وكانت المشكلة هي أن هذا التقيح ينمو يوماً بعد يوم . . تحت سمع الجميع ، وعلى مشهد من الجميع .

وفي الوقت نفسه كانت الحصانة ضد هذا التقيح تنهار يوماً بعد يوم . إننا نعرف مثلاً أن الجسم الإنساني ، حينما يواجه اختلالاً صحياً ، نسميه مرضاً ، يكون مصحوباً بردود أفعال محددة قاطعة . . تميل إلى أن تعيد الجسم إلى حالة

تشبه ما كان عليه قبل هجوم المرض . إن شيئاً شبيهاً بذلك يجب أن يحدث حينما يعاني نظام اجتماعي من الاختلال أو المرض . شيئاً يشبه نفس النوع من رد الفعل يجب أن يحدث لكي تعود الأمور إلى نصابها ، وتحل الصحة محل المرض . إن بعض الثورات القصيرة النظر تقضى مقدماً على مثل هذه القوى التصحيحية ، وهذا يفسر لنا جزئياً لماذا تنتهي ثورات كثيرة إلى شيء مختلف تماماً عما أراده لها الثوار في البداية .

ولقد كنا نحن - شباب هذه الأمة - ندرك ذلك ولا نفهمه . ندرك أن في بلدنا أخباراً سيئة لا تقو لها الصفحة الأولى . . وإشاعات متناثرة لا تفسرها لنا شاشة التلفزيون . . وعلامات استفهام كبيرة لا تعترف بها موجات الإذاعة . في تلك الأيام كان الرجال يرقون فجأة كالشهب ، ويسقطون فجأة كالشهب أيضاً . وحينما كنا نبدي أقل علامة من التساؤل . . فإن حكماء هذه الأمة كانوا ينصحوننا بأن نغلق أفواهنا ونصمت . . فحتى «الحيطان لها ودان» . نعم ، نستطيع أن نتساءل . . ولكن ليس بصوت عال . نستطيع أن نبحث . . ولكن ليس بجرأة . نستطيع أن نستقصى . . ولكن ليس في كل شيء . نستطيع أن نشارك . . ولكن ليس في القضايا الأساسية للمجتمع . إن القضايا الأساسية ، خصوصاً الأساسية ، ممنوعة علينا ، بل ممنوعة على الجميع .

كنا نحن - صغار هذه الأمة - نعبر عن إحساننا .

وكانوا هم - كبار هذه الأمة - ينقلون إلينا حكمتهم .

كانوا يردون علينا قائلين : إن كل شيء يهون في سبيل الهدف الأسمى . نعم . هناك تسلط سياسي ، وهناك كبت وقمع وتعذيب وإرهاب وتقارير سرية ومراكز قوى . ولكن ، ما قيمة كل هذا إلى جانب الأهداف الكبرى التي تحققت ؟ وإذا كان لا بد من الاعتراض . . فإن النتيجة لن تختلف في النهاية . النتيجة هي أن الحياة تسير . . بنا أو من غيرنا .

بالطبع ، الحياة تسير . إن الحياة تسير . سواء تصرفنا فيها كجبناء أو كأبطال . ولكن السؤال هو : تسير إلى أين ؟ إلى القرن الحادى والعشرين . أم إلى القرن

الحادى عشر؟ إلى الديمقراطية . . أم إلى الإرهاب ؟ إلى الانتصار على الواقع ، أم إلى الهزيمة أمامه ؟ بالطبع ، الحياة تسير . ولكن فى هذا العصر من الاضطراب والتغيير والتشوش والشك والامتحان . . فإن على كل منا أن يبحث عن معنى لحياته .. عن قيمة يسعى إليها ومبدأ يحارب من أجله .

كنا نلاحظ أن الجيل القديم - حكماء هذه الأمة - يساندون كل إجراء ماداموا هم يقفون على الشاطئ الآخر من النهر . لقد أيدوا وساندوا إلغاء الأحزاب واختفاء المعارضة ، أيدوا وساندوا حكم الرجل الواحد . أيدوا وساندوا إلغاء المؤسسات الدستورية . أيدوا وساندوا النظر إلى المواطنين باعتبارهم مجموعة من الأتباع ، وليسوا مجموعة من الشركاء . أيدوا وساندوا اختفاء الرأى الآخر . أيدوا وساندوا الكبت والقمع والتعذيب والتسلط والمعتقلات . . مادام فى الزنزانة مواطن آخر غيرهم . وفى كل اختبار كان اهتمامهم يتركز أولاً على سؤال واحد فقط : ألا تزال رؤوسهم ثابتة فوق أكتافهم أم لا ؟ فوق أكتافهم . إذن : يا عزيزى الحاكم ، استمر ونحن معك . الكراسى ما زالت تحتهم ؟ إذن : نحن وراءك .

إن الحاكم فى أى أمة يستطيع أن يطفى ، وأن يستد ، وأن يجعل أعوانه يطغون ويستبدون . هذه طبيعة الحكم . ولكن حكماء هذه الأمة يستطيعون أن يعترضوا ، وأن يمتنعوا وأن يرفضوا . ولكن كل هذا لم يحدث . وإذا حدث أن أصبح التعفن أمامهم أقوى من تجاهلهم إياه .. فإنهم كانوا - فى أحسن الأحوال - يديرون ظهورهم وينظرون إلى الاتجاه الآخر ، متظاهرين بأنهم لا يرون التصفية الكاملة لكل رأى مختلف . وهو الأمر الذى كانت مراكز القوى تقوم به بصفة دورية .

إنهم كانوا يجدون حجة مقنعة فى كل مرة . وحينما انهارت الحجج كلها ، أخرجوا فى النهاية حججهم الأخيرة : كل شئ يهون فى سبيل مصر . مادامت كلمة مصر أصبحت مسموعة ، وجيشها أصبح أقوى ، واستقلالها أصبح أكيداً ، ومعاركها أصبحت منتصرة ، إذن .. فكل تنازل يهون . تهون الحرية . تهون الثقافة ، يهون التعليم ، يهون العدل . والتاريخ يعلمنا أن أفدح المظالم يمكن أن تستمر ، وأكبر الأكاذيب يمكن أن تعيش . . إذا سكت عليها عدد كاف من الناس .

واقنعنا . .

إننا اقنعنا لأنه لم يكن أمامنا سوى أن نتمزق بين بدلين : إما أن ندخل دنيا الآباء بشروطهم هم . . وإما أن نبقى جزءاً من دنيانا في المدرسة أو الجامعة . . بشروطنا نحن .

إننا لو بقينا في دنيانا بشروطنا ، فإننا نكون قد هزمتنا أنفسنا مقدماً قبل أول طلقة . ولو دخلنا دنياهم بشروطهم . . فعلينا أن نقدم التنازلات إليهم من أول دقيقة . فبمجرد أن تحصل على وظيفة بعد التخرج ، تصبح جزءاً من المجتمع ، ويصبح عليك غالباً أن تهاون على حساب تلك المبادئ التي ظلت غالية وعزيرة عليك فترة طويلة سابقة . إن الاختيار الوحيد المطروح أمامك هو : إما أن تكون سنداناً ، وإما أن تكون مطرقة . إن أصحاب النفوذ حمزوا لأنفسهم المطارق . . ولم يتركوا لك سوى أن تكون سنداناً . الكل يدق فوق رأسه ، وليس عليه سوى أن يستسلم .

نعم ، دخلنا الواقع بجزء من شروطهم . تحمسنا وشفقتنا وآمنا وأيدنا . . لم يعد أمامنا أن نعتمد على نظام . . وإنما أصبح علينا أن نعتمد على التواي الطابة لمن يحكموننا .

لم يعد أمامنا أن نعترض على الاتهازية والوصولية والنفاق والكذب . . وحينما كان أبي يقول لي « لا تكذب . . لأنك لو كذبت فلن يصدق أحد ما تقول » ، فإنني كنت أعلم أنه يقول لي بنفسه كذبة مدوية . . لأنني أعرف أن الأكاذيب هي أكثر الأشياء نجاحاً وانتشاراً .

لم يعد أمامنا أن نعترض ، فلقمة العيش مهددة . . والحرية مفقودة . لقد كان هذا مفهوماً جديداً . . حيث البراءة تصبح الدليل الملموس على أنك مذنب . إن الجريمة لم تعد هي أنك تعترض ، ولا أنك تتكلم . لقد أصبحت الجريمة هي أنك لا تصفق بصوت أعلى من زميلك ، أو لا تتحمس بقدر أعلى من جارك في الشقة التالية . الجريمة أصبحت هي أنك لست عضواً في شلة ، والشلة ليست جزءاً من مركز قوى ، ومركز القوى ليس جزءاً من نظام .

لقد انتشر الفساد وتفشت الانتهازية والمحسوية واختفت الكفايات وهاجرت الأصوات المخصصة ، ومن لم يهاجر بقى في مكانه . . ولكن بعد أن أعلن انسحابه النفسى والعقلى من كل ما يجرى . إن كتاب التقارير السرية هم الذين يحتفظون لأنفسهم بحق الكلمة الأخيرة في تقرير هل أنت مواطن صالح أولا ؟

لقد كنا نودع في كل ليلة واحداً من الآمال الكبيرة في حياتنا ، ونتقبل العزاء في وفاة حلم من الأحلام العريضة في عقولنا .

نعم : كنا نموت قليلا . . كل يوم .

وفي البداية كنا - نحن المتفرجين - نهون الأمر على أنفسنا بقولنا : معلش

. . كل شيء يهون في سبيل مصر .

في البداية هانت المبادئ وبعدها هانت القيم ، بعدها هان المستقبل ، وأخيراً : هانت مصر ! لقد صحونا ذات يوم لكى نجد مصر مضروبة في ميدان القتال . لقد ضربتها إسرائيل . . ولكنها في الحقيقة كانت مضروبة من الداخل . . قبل وقت طويل من هزيمتها أمام إسرائيل .

كانت مصر قد تعفنت ، وصمتت ، وتنازلت ، وتسوست . . قبل أن يشهد قتال يونيو الرصاصية الأولى .

إننى لست محتاجاً هنا إلى أن أسجل الزلزال النفسى الضخم الذى أحدثته كارثة يونيو ١٩٦٧ . فلقد فعلت ذلك في مقالات وكتب أخرى . ولكنى محتاج فقط إلى تسجيل ما حدث بعد الكارثة .

لقد فوجئنا بأن الذين أعلنوا من قبل تأييدهم لكل ما حدث . . هم أنفسهم الذين يعلنون اليوم إدانتهم لكل ما حدث . إنهم حكماء في كل مرة . . منطقيون في كل مرة . . متحمسون في كل مرة . . ولكنهم في النهاية : كاذبون في كل مرة !

إن كل ما يريدونه هو السلطة . . بقايا السلطة ، وذبول السلطة ، ورضاء السلطة ، وبعدها . . فليذهب أى شيء إلى الجحيم .

ولكننا لم نذهب إلى الجحيم . لقد بدأ جيلنا يرفض من جديد أن يتنازل على

يباض عن عقله وتفكيره وإحساسه . . رفض جيلنا أن يذهب ثمن الهزيمة هباء . إن الذين دفعوا ثمن هذه الهزيمة من دمائهم كانوا نحن ، أبناء هذا الجيل ، ولم يكن أى أحد آخر . لقد مات منا الآلاف على رمال سيناء فى ظل تعليمات تقول لهم : تراجعوا إلى الخلف . . وليس فى ظل تعليمات تقول لهم : تقدموا إلى الأمام . مات منا الآلاف بغير أن يعرفوا لماذا . . ولا ماذا جرى . إنها المرة الأولى فى تاريخ مصر على ما أعلم . . التى نكون فيها ضحايا بلا معركة . . وأمواتاً بلا سبب . . وشهداء بلا قضية .

ولكن ، حيث كان مفروضاً أن تكون هزيمة يونيو ضربة قاضية لكل شىء نظيف وصادق وطاهر فى مصر . . فإنها بدأت تصبح ضربة قاضية لكل شىء مزيف ومتسلط وكاذب فى مصر .

إن جيلنا رفض أن يستسلم ، وبدأ يفكر لحسابه الخاص . إن تفكيره فى هذه المرة بدأ بعد الفيضان . لقد خرجنا من الهزيمة بغير أبطال نسير خلفهم ، ولا زعماء نستمع إليهم ، ولا علم نلتف حوله ، ولا تقاليد نجتمع حولها ، ولا ذكريات تشدنا إلى الدنيا المزيفة التى اندثرت . لقد أصبحنا جيلاً مولوداً بغير جبل سرى . إن معنا الحق ، والإحساس ، والأمل . . ولكن ليست معنا السلطة .

إن السلطة كانت ، حتى بعد يونيو ، ما تزال فى أيدي مراكز القوى . وفى الحرب ضد تلك المراكز كانت الهزيمة مصير كل من حاول الاقتراب منها ، بما فى ذلك جمال عبد الناصر نفسه . كان هذا شيئاً طبيعياً ، بعد سنوات طويلة من النمو السرطاني لتلك المراكز . سنوات تحولت فيها السلطة إلى دائرة مغلقة ، والحكم إلى تركة وراثية ، والمناصب إلى مكافآت على الولاء .

أقول إن جمال عبد الناصر نفسه . . ربما يكون قد حاول . . ولكنه اكتشف فى النهاية أن الواقع قد أفلت من بين يديه . كان هذا شيئاً طبيعياً بعد أن أصبحت مراكز القوى مثل تلميذ الساحر الذى استحضر عفريناً من الجان لكى يأتيه بشيء من النبيذ . ولما كان يجهل التعويذة التى يصرفه بها بعد أن جاءه بما يكفيه . . فإن أمره انتهى إلى الغرق فى بحر من النبيذ .

أو . . فلأقل شيئاً آخر : إن إرهاب مراكز القوى قد اتخذ لنفسه إيقاعاً خاصاً به .
 إن الوحش « فرانكشتاين » قد تم بناؤه ببطء وبحرص عبر فترة من الزمن ، والآن . .
 أصبحت له إرادة خاصة به لا يمكن وقفها .

كانت القضية المبدئية هي : من المسئول عن كارثة يونيو ١٩٦٧ ؟

لقد بدأ جيلنا بتهامس ، ثم يتكلم ، ثم يصرخ ، ثم . . أخيراً . . يتظاهر
 إن مظاهرات فبراير ١٩٦٨ كانت أول رد فعل حاد من الغاضبين في هذه الأمة ،
 الذين يريدون أن يعرفوا حقيقة المرض . قبل أن يوافقوا على العلاج المطروح .

كان التناقض هو أن عقوبة التآمر على قلب نظام الحكم هي خمس وعشرون
 سنة ، في حين أن عقوبة التآمر على هزيمة مصر هي خمس عشرة سنة !

وكان التناقض هو أن نقول إن التأثير ضروري في المستقبل القريب .

ولكن المناقشة ممنوعة في الماضي القريب !

وكان التناقض هو أننا نقول إن هذه الهزيمة لن تتكرر ، ولكننا نرفض في الوقت
 نفسه أن نناقش أسبابها .

كان هذا نوعاً من المنطق المعكوس . . ولم يكن له سوى تفسير واحد : أن فتح
 ملفات هزيمة ١٩٦٧ سوف يمزق ثقباً كثيرة في ستارة الغموض وعدم المسئولية
 التي تحيط بها مراكز القوى نفسها . من هنا كانت الأسباب الملحة - وليست
 الكاملة - لمظاهرات ١٩٦٨ .

إن جيل الشباب يريد أن يحصن مصر ضد الهزيمة مستقبلاً . . في حين تريد
 مراكز القوى أن تحصن امتيازاتها ضد المحاكمة مستقبلاً . من أجل هذا كانت
 الرغبة في القمة هي أن هزيمة ١٩٦٧ تعتبر كارثة . . هذا صحيح . . وتمثل قضية ،
 هذا حق . . ولكن ، دعونا نقيد القضية ضد مجهول ! دعونا نعتد من جديد على
 النوايا الطيبة لهؤلاء الذين يحتفظون في أيديهم بمقاليد الأمور .

وكان هذا كثيراً . . كثيراً جداً . فخرجت المظاهرات . مظاهرات ضد الواقع ،
 وضد إعفاء أحد من الحساب ، وضد السلطة .

إنني شخصياً كنت دائماً ضد السلطة . ليست السلطة التي يمثلها سائق

أوتوبيس لا يقف عند المحطة ، أوأب يمنعك من السهر ليلا . إننى أفهم ذلك مع أننى لا أحبه . ولكننى أتكلم هنا عن السلطة التى تنظر إليك وإلى جيلك كله باحتقار كامل . إنهم ربما يقولون لك إنك رفيق طيب للحظة . ولكن ، حينما يضع شخص ما قطعة ورق فى أيديهم يعطيهم بمقتضاها قدراً من السلطة . . فإنهم يبدءون فوراً يتحكمون فيك ويستبدون بك . . تلك هى اللحظة التى أكون فيها ضد السلطة . وفى الوقت نفسه فإننى شخصياً ضد العنف . وضد التظاهر كأسلوب للتعبير عن الرأى . بل إننى حرصت دائماً على ألا أكون جزءاً من تنظيم أو شلة تفرض عليك ما تريده .

ولكن هذا كله لا ينعنى من أن أفسر على الأقل دوافع الجيل الذى أنتمى إليه . . فى التمرد والغضب . إن الشباب هم فى العادة مثاليون أكثر مما هم ثوريون خطرون . إن الاختبار الحقيقى لكل مجتمع يكمن فى قدرته - أو عجزه - عن التعامل مع الجيل الشاب فى حالات احتجاجه هذه ضد تخلف الواقع عن المثل العليا . وحينما يكون المجتمع مستقراً فى أساسه ، ومرناً بما يكفى للتجاوب مع أوجه الشكوى . . فحينئذ يستطيع هذا المجتمع أن ينام قرير العين دون أقل خشية من شبابه . إن الطريق مفتوح أمامهم للتعبير عن آرائهم أولاً بأول ، بغير عقبة أو رقابة أو وصاية . . فلماذا إذن يخشاهم المجتمع أو يخشى غيرهم ، ويخشى أن ينقلوا احتجاجهم إلى الشارع ؟ ! أما حينما تكون الوسيلة الوحيدة التى يستخدمها المجتمع مع حركات الاحتجاج هى العنف . . وهى الكبت . . وهى التسلط . . فإنه يصبح حينئذ معرضاً للخطر . خطر التعرض لنوبات هستيرية مفاجئة من السخط ، وخطر التحجر السياسى وفقدان الحساسية للمشاعر المتغيرة بين أعضائه . إن شيئاً من هذا كان قائماً وقتها فعلا .

لقد تحركت الحكومة بسرعة فى اتجاهين : امتصاص هذا الاحتجاج السياسى بالالتفاف حوله عن طريق مجموعة من الإجراءات (إعادة محاكمات الطيران . . بيان ٣٠ مارس . . التعديل الوزارى . . إلخ) ثم بقذف المنطق القديم فى وجه الشباب : ماذا تريدون ؟ ألم نضمن لكم التعليم المجانى ؟ ألم نضمن لكم وظائف

في الحكومة؟ ألم نشر لكم مائة أوتوبيس في العام الماضي؟ الخ . . . الخ .
 إنه المنطق القديم نفسه : ليس للإنسان من حقوق على حكومته أكثر من
 « العلف » الذي تقدمه له .

إنها - أيضاً - المبارزة القديمة نفسها : أيهما أكثر أهمية . . الخبز أم الحرية؟
 إن أحداً لم يفهم أن ما يميز الإنسان عن المخلوقات الأخرى هو أنه - بالإضافة
 إلى رغبته في أن يعيش - يريد أن يعيش حياة أفضل .
 وأحداً لم يفهم أن في مصر أبطالاً حقيقيين يجب أن تكتشفهم . . قبل أن تركع
 أمام أبطال ملفقين .

وأحداً لم يفهم أن هزيمة يونيو ١٩٦٧ لم تكشف في الواقع عن مجرد أزمة حكومية .
 إنما كشفت أساساً عن أزمة حضارية .

وأحداً لم يفهم أننا يجب أن ننظر إلى الحكومة باعتبارها شيئاً أقل من مشكلة
 سلطة ، وشيئاً أكثر من مشكلة قيادة .

وأحداً لم يفهم أن انسحاب شباب هذا المجتمع منه قد احتاج إلى كارثة
 قومية ، وسوف يحتاج استردادهم إليه إلى ثقة قومية .

وأحداً لم يفهم أن « الأتباع » الذين ضحوا بعشرين ألف قتيل بغير تساؤل . .
 لن يفرطوا اليوم في نقطة دماء واحدة بغير حيثيات .

نعم . لم يفهم أحد . أو ، على الأقل ، لم يحاول أحد . لقد اتخذت إجراءات ،
 وأزيلت آثار ، ولكن الأسباب بقيت على ما هي عليه . أسباب الهزيمة .

ثم : بدأ التغيير .

مع حدة الصراع ضد العدو ، وتكرار حركات الاحتجاج والغضب ، واستمرار
 فجوة الثقة قائمة . . بدأ التفكير في علاج آخر .

إن هذا العلاج لم يبدأ بإجراءات ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ، ولا هو بدأ بحرب
 أكتوبر سنة ١٩٧٣ .

إننا بدأنا نكسب حرب أكتوبر ، في رأبي ، قبل أن تقع فعلاً بسنوات طويلة . .
 تماماً مثلما بدأنا نخسر حرب يونيو قبل أن تقع بسنوات طويلة .

ففي أول استفتاء شعبي جرى بمصر لانتخاب أنور السادات رئيساً للجمهورية - وكان ذلك في أكتوبر سنة ١٩٧٠ - خرجت نتيجة الاستفتاء معلنة أن ٩٠,٢٪ يوافقون على السادات كأول رئيس للجمهورية يخلف عبد الناصر.

كانت تلك في حد ذاتها نتيجة مثيرة للدهشة . . بعد أن جرت العادة في مصر من قبل على أن تكون نتيجة أى استفتاء هي مقدماً ٩٩,٩٩٪.

المهم . . خرج أنور السادات بعدها لكي يعلن على شاشة التلفزيون في ١٨ أكتوبر ١٩٧٠ ، قائلاً : « إن الذين قالوا لا . . إنما كان قولهم لها تحفظاً على المرشح لرئاسة الجمهورية نفسه . إن هذا لم يسبب لى أى ضيق ، ولا اعتبرته مدعاة لألم ، إنما اعتبرته ظاهرة صحية » .

لقد استطاع الحاكم ، أخيراً أخيراً ، أن يضع أذنه على النبض الحقيقي لمصر . القدرة على أن تقول « لا » للحاكم . . بغير أن يكون الثمن هو اعتبارك خائناً وعدواً وكافراً ومتمرداً . إنها كلمات جديدة ، وأسلوب جديد . إن هذا التصحيح كان مبكراً من أنور السادات بالنسبة لسليبات نظام الحكم في مصر . إن حقلك وحتى وحققها وحقناً جميعاً في أن تقول « لا » بغير أن تطاردنا أجهزة الحاكم نحن وأولادنا من بعدنا . إن هذا المواطن المعترض ظل هو المواطن الخفي في المجتمع المصرى طوال فترة طويلة سابقة . إنه كان موجوداً دائماً . . ولكن الاعتراف به هو الذى لم يكن موجوداً . . كما لو كان مجرد التظاهر بعدم وجوده هو القضية الأساسية .

ثم جاء أنور السادات فجأة لكي يعلن : كلنا شركاء في هذا البلد . . الذين يقولون نعم والذين يقولون لا . إن هذه الحقيقة هي شئ « بديهي ومفروغ منه ، وهي الأصل والأساس . ولكن ، من طول غيابها عن حياتنا السياسية في مصر . . أصبحت تبدولنا - نحن شباب هذه الأمة - كالاكتشاف المفاجئ . . وهو انطباع لم أستطع التخلص منه لفترة طويلة تالية .

إن أنور السادات لم يتحرك بعدها بسرعة . . فراكز القوى أحاطته بحقول الغمام وقنابل زمنية عديدة . . ولكنه في ذلك اليوم عبّر على الأقل عن اتجاه السفينة .

مع ذلك فإن أنور السادات نفسه لم يسلم هو الآخر من مواجهة تمرد هذا الجيل . إن الجديد في هذه المرة هو أنه لم يتخذ من هذا التمرد حجة جديدة لإعادة هذا الجيل إلى ما كان عليه . لا شيء في هذا العصر يعود أبداً إلى ما كان عليه . إنه أيضاً لم يضع جيلنا أمام بديلين اثنين : الخبز أو الحرية . إنه لم يفعل ذلك ، بالرغم من أن مراكز القوى حاولت أن تغريه بذلك . طبعاً : التفكير البوليسى في السياسة يبدأ دائماً من مقدمة أن كل الناس مذنبون ومتآمرون إلى أن يثبت العكس . مع ذلك فإن عوامل كثيرة ساعدت في بقاء أزمة الثقة تلك على ما هي عليه . الثقة بين جيل الشباب وبين الدولة .

فن الناحية الميدية كان هناك في الظل دائماً كابوس هزيمة ١٩٦٧ ودروسها . ومن ناحية أخرى كانت هناك حالة الكسل العقلى التى أصيبت بها أجهزة السلطة ، بحيث إنها لا تريد مطلقاً أن تنزل إلى الشباب وتسمع منهم وتفسر لهم . ولكنها تريد فقط أن تزجرهم وتعاقبهم .

ومن ناحية ثالثة هناك تجاهل للتغيير الذى وقع في المناخ السياسى ولا يمكن إلغاؤه . . إن جيلنا هو الذى عانى من الهزيمة والمرارة والألم . ألم السير في حياة لا يعرف اتجاهها ولم يشترك في صنعها . . ووسط أحداث لا دور له فيها سوى التفرج عليها . لقد تقطعت أسلاك الاتصال بيننا وبين الدولة . . بحيث أصبحت فجوة الثقة أزمة ثقة . إن تشويه السمعة أصبح هو وسيلة الجميع ضد هذا الجيل . وكأتما أصبح سوء السمعة عزاء وتعويضاً عن جوهر القضية نفسها . لقد قالوا عن جيلنا إنه جيل من المتمردين بغير سبب . . والمعارضين بغير دافع . . والمشاعين بغير قضية . بغير قضية ؟

إذا لم يكن الدفاع عن بلدنا ، وإدخال القرن العشرين إلى حياتنا ، هو القضية . . إذن . . فإذا تكون القضية ؟

إن القضية كانت بالنسبة لنا تحمل أبعاداً كثيرة ، بعد أنور السادات وبعد سقوط مراكز القوى وانتهاء النظرة البوليسية إلى جيل بأكمله . القضية أصبحت هي : كيف نسترد قوتنا . . والعدو يحتل أرضنا على بعد مائة

كيلومتر من عاصمتنا ؟

القضية هي : كيف تنقد مصر ، بغير أن تؤذيها ؟ . . كيف ندافع عن مصر ، بغير أن ندعم فيها الخيلاء والغطرسة ؟ . . كيف نغير مصر ، بغير أن ندمرها ؟ . . كيف نرعى قيمها الطيبة ، بغير أن ننمى فيها أعشابها الطفيلية ؟ . . كيف نعشق ترابنا ، بغير أن تدوس علينا الأقدام ؟ . . كيف نعبّر لأنور السادات عن ثقنا فيه ، بغير أن يخلتس سمسرة الأمن والبوليس جزءاً منها لحسابهم ؟ . . كيف نقف معه صفياً واحداً ، بغير أن يعنى هذا أننا نقف معه عقلاً واحداً ؟ . . كيف ننقل إليه حبنا ، بغير أن نساهم في موجة جديدة من عبادة الفرد ؟ . . كيف نخبره بأننا أبناؤه ، بغير أن نجعله حاكماً أوبياً ؟ . . كيف نثق ، بغير أن تكون ثقنا على بياض ؟ . . كيف نؤمن ، بغير أن يكون إيماننا غيبياً ؟ . .

إن علينا أن نتحد جميعاً في السعى لانتصار قادم . . بالرغم من أننا مشحونون بالمرارة من هزيمة تحققت .

تلك كانت قضية جيلنا . كانت كل هذا . وأكثر .

كانت قضيتنا هي إصرارنا على أن نكون دولة عصرية . إصرارنا على أن يكون مجتمعنا . . ليس عادلاً ومتبهاً فقط ، لكن مفتوحاً أيضاً . وحينما كنا نقول ذلك . كان حكماء هذه الأمة - وهم مازالوا مستمرين في التحدث باسمها - يحتجون في البداية بأن صوت المعركة أهم من أى صوت آخر . . إن هذه الحقيقة ، التي هي صحيحة في جوهرها ، كانت تتحول في النهاية إلى وسيلة جديدة لإنكار أو إخفاء تفسحات وعورات مجتمعنا خلف شعارات أخلاقية ووطنية . إن سقوط تلك الشعارات لم يكن يمنعهم من الدهشة بسبب غضب جيلنا وتمرده . . الذى هو بالضرورة نوع من النقد لأوضاع كثيرة . . هم أنفسهم جزء منها .

إنهم لم يدركوا أن ضغط الهزيمة على أعصابنا ، واستمرار الاحتلال لأرضنا ، كان يملأ عقولنا بمشاعر خطيرة : مشاعر الفخر المهزوم والآمال الخائبة ، والقيم التي هزمتها الترجسية القيادية .

لقد حمل كل منا هذا التوتر العصبى في داخله إلى جامعته ، ووظيفته .

وجاره في الشقة التالية ، وزميله في الأوتوبيس ، وصديقه في النادي ، وشريكه في تراب هذه الأرض . ومع كل يوم جديد يمر بغير تحرك ضد العدو المحتل لأرضنا . . كان البخار يتجمع . . والتوتر يتراكم . . والقنبلة الزمنية توشك أن تحول المجتمع كله إلى شظايا . إن القيادات كلها كانت تبشرون يوم قريب وبنار لا بد منه ، ولكن جيلنا كله كان يحتاج إلى دليل . إن نفوسنا قبل الطلقة الأولى في المعركة - لن تستطيع أن تصدق أو تستريح أو تهدأ .
ثم : انطلقت الشرارة .

لقد بدأت الحرب في تلك اللحظة التاريخية بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر .
هنا فقط التأمت الجراح ، وتوحدت الصفوف . هنا فقط أخلت المرارة مكانها للثأر . لقد تحولت الأمة كلها في لحظة واحدة إلى جندي واحد . . وعقل واحد . . وصف واحد .

إن أحد مشاهد تلك اللحظات لن يغيب عن ذهني مطلقاً . فبمجرد إذاعة البيان الأول نسى الناس كل شيء فجأة ، كل شيء مرير ومؤلم اختفى وذاب فجأة في مشهد واحد : مشهد الناس وهم يتكلمون بعضهم إلى بعض ، ليست أحاديث طارئة وعرضية . . ولكن أحاديث طويلة حارة بين غرباء تماماً . إنهم غرباء جمعهم البيان الأول على نواصي الشوارع وفي المقاهي والميادين . إن البيان الأول - بقدر اقتضابه وقلة كلماته - أشعل انفجاراً من الكلمات والأحاديث والمناقشات . إنها مناقشات تجرى كنوع من الاستشفاء العام . لقد انطلقت الشرارة . وفي انطلاقها أعادت تذكير الناس بحقيقة أن علاقاتهم بعضهم ببعض ظلت طوال ست سنوات فظة جداً وخشنة للغاية ، ثم غير أخويه . إن الأطفال عادوا يتحدثون بحب إلى آبائهم ، والموظفين يحبون رؤساءهم ، والمواطنين يثقون تماماً في قائدهم . في هذه المرة لن يحاسبه أحد على النتيجة . . ولكن يكفيهم فقط أن يقوم بواجبه كمصري .

وعلى رمال سيناء نفسها . . كان كل جندي يقوم بأكثر من واجبه . . إن شحنة الانتظار والألم ترجم نفسها الآن إلى رصاص ينطلق ودماء تسيل . إن

الجيل المتمرد ، الجيل سيئ السمعة ، يعوض الآن بعقله ما تقصر فيه التكنولوجيا . .
ويسدّ بصدرة فوهات المدافع في خط بارليف . ويفتدى بروحه كل حبة رمل
أمامه . إنه في هذه المرة يدفع دماؤه وروحه ثمناً لمعركة حقيقية . ثمن له مقابل .
يكفي أن يكون المقابل كرامة وعزة ورأساً يرتفع إلى السماء وقدماً تتقدم إلى الأمام
واحتراماً ضائعاً يعود إلى النفس .

كان هذا هو أعظم إنجاز حققته حرب أكتوبر : احترام النفس .
في هذه الحدود يصح أن أقول إن حرب أكتوبر أعادت ضبط عقاربنا كلها
على ساعة واحدة . لقد استيقظنا من جديد على كمية لا نهائية من الحب يحتفظ
بها كل منا لبلده في أعماقه . . إن الذين قالوا نعم لكل شيء ، والذين قالوا لا لأى
شيء . . أصبحوا فجأة يقولون كلمة واحدة : إلى الأمام .

تلك هي الروح التي حققها معركة أكتوبر .
ثم : انتهت المعركة . . ولكن الحرب لم تنته .
إن الرصاص عندما توقف لم يكن هذا يعنى مطلقاً أن الحرب قد انتهت . .
وأن كل شيء أصبح على ما يرام فجأة . لا . بالعكس . فعلى المستوى العسكرى :
مازالت المعركة مستمرة ، وما زال الرصاص محتاجاً إلى الانطلاق من جديد .
وعلى المستوى الحضارى : ما زالت القضية الرئيسية قائمة .

إن القضية في هذه المرة أصبحت بكل معنى من المعانى : تجديد شباب مصر .
ومثلما اكتشف كل منا لنفسه دوراً في المعركة العسكرية ، فإن على كل منا
أن يكتشف لنفسه أيضاً دوراً آخر في المعركة الحضارية . إن السلطة تستطيع
أن تتقدم إلى جيل الشباب بيد ممدودة وعقل مفتوح وقلب صاف ودعوة جادة
للمشاركة . إننا ربما لا نستطيع أن نعطي هذه الأمة مزيداً من الشعارات أو
الفلسفات أو الأقوال المأثورة . ربما لا نستطيع أن نعطيها وعوداً براقاً تمضغها
ألسنتنا وتدوسها أقدامنا . بالتأكيد ليس هذا دورنا .

ولكننا بالتأكيد أيضاً نستطيع أن نعطي هذه الأمة مزيداً من الصدق والصرحة . .
والثقة في المستقبل . . والأمل في القرن الحادى والعشرين . إننا من الآن نفعل

هذا فعلا ، ولكننا نستطيع أيضاً أن نفعل أكثر .

إن المشكلة هي أنك مالم تحتل مركزاً وتملك سلطة . . فإن ما تستطيعه يمكن أن يكون قليلاً جداً .

ولكن ، حتى هذا القليل . . يحتاج إليه بلدنا الآن ، في هذه اللحظة ، بشكل حاد جداً . إن كلاً منا يستطيع مثلاً أن يعيش نوع الحياة الذي يعجبه . ولكن مذاق هذه الحياة يمكن أيضاً أن يبرهن ، أو يحاول أن يبرهن على أنه ما زال من الممكن أن نختلف بغير عداء ، ونناقش بغير مرارة ، ونتجادل بغير ألم . مازال من الممكن أن نعمق في بلدنا ، وحكومتنا ، ومؤسساتنا ، القدرة على التحمل . تحمل الاختلاف والنقد والتجربة والحوار الحي بين الرأي والرأي الآخر .

بالطبع سوف يظل الرأي الآخر مجرداً من الحماية مالم تسانده مؤسسات دستورية قائمة ومعترف بها ، وتمارس نشاطها في الضوء العلانية . إن هذا يجرنا إلى مناقشة قضية الديمقراطية وقضايا أخرى كثيرة ليس هذا مجالها . إن ما يجعلني متفائلاً ، من الآن ومقديماً ، هو أن أنور السادات نفسه مؤمن بهذه القضايا . . مؤمن بأن الخبز ليس بديلاً عن الحرية . . والحرية الفردية ليست منفصلة عن المؤسسات التي تحميها . . والقانون ليس مختلفاً عن العدالة . . والشعارات ليست تعويضاً عن التطبيق . . والحكام ليسوا بديلاً عن الشباب . . والولاء ليس بديلاً عن الكفاية . . والنوايا الطيبة ليست بديلة عن الأعمال الطيبة . باختصار . باختصار . المواطن الحر . . هو الشرط الأول لبناء الدولة العصرية .

وفي هذه النقطة فإن كل ما يفعله أنور السادات هو أنه يسد الشيكات التي حررتها الثورة على نفسها ، وتأجل تسديدها فترة طويلة جداً - ٢٢ سنة !